العدد 38

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجَلَّةٌ إِسْلَامِيَّةٌ - ثَقَافِيَّةٌ -جَامِعِيَّةٌ- مُحَكَّمَةٌ

تصدر سنويًا عن كلية الدعوة الإسلامية

العدد 38

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

1446 هـ 2024 م

BULLETIN
OF THE FACULTY
OF
THE ESLAMIC CALL
Vol. thirty eight
2024

- تأملات حول قانون الترابط في آيات الآفاق والأنفس والقرآن.
- طريقة الرسول ﷺ في تلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته.
- السنة في اصطلاح مدرسة المدينة المنورة.
- الدعوة الإسلامية وآثارها في إصلاح المجتمع وتحقيق أمنه واستقراره.
- في مدلول مصطلح البلاغة وأهمية علومها وأهدافها.
- عرض كتاب التفسير الموضوعي للخالدي ونقد لمنهجه.

1446 هجرية الموافق 2024 ميلادية

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

الأحاديث الواردة في خلق الصمت في الصحيحين ومسند أحمد جمعًا ودراسة

أ. عبد الوهاب بن محمد الحسن البكوش
ماجستير فقه السنة وعلومها
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

ملخص البحث:

اعتنى ديننا الإسلامي الحنيف بالمنظومة الأخلاقية التي تشمل جميع جوانب الحياة، وتنظمها، فجاءت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة متواردة في بيانها للأمة، حاثَّةً على التحلي بها، ومن تلكم الأخلاق الشرعية خلق الصمت، ويعد هذا الخلق من أجل الأخلاق الإسلامية العظيمة؛ لعظم الثمار التي يكتسبها صاحب هذا الخلق الرفيع، فهو من أعظم الأسباب لاجتناب الذنوب والآثام، بَلْهَ الخروج من الإسلام، فكم من واحد قال كلاما أخرجه من الإسلام، واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، فالمبحث الأول: تعريف الصمت، والفرق بينه وبين السكوت، وأهميته، وأقسامه، المبحث الثاني: ما ورد في فضلِ الصمتِ، وحفظِ اللسانِ، وما ورد من النهي عن فضول الكلام، والخوض في الباطل، وما جاء فيه الحثُّ من الكلام، وما ورد عن الصحابة والتابعين من الصمت وحفظ اللسان، ويرجى من هذا البحث بيانُ خلقِ الصمتِ، وما فيه من جوانبه المهمة، فإن حاجة الناس لمعرفة الأخلاق الحميدة ملحّة جدا، ما بقي جنس البشر في هذه الدنيا.

Research Summary:

Our true Islamic religion has addressed the ethical system that encompasses and regulates all aspects of life.*Therefore*, the religious texts from the Quran and Sunnah have come clearly to the Muslims, urging them to embody these ethics. Among these ethical Islamic traits is the virtue of *silence*. This virtue is considered one of the greatest Islamic ethics due to the great benefits gained by one who possesses such noble character. It is one of the greatest reasons for avoiding sins and misdeeds, as well as apostasy, as many have been led out of Islam by their words.

The nature of the research necessitated dividing it into an introduction, two sections, and a conclusion. *The first section:* defines *silence*, the difference between it and mere quietness, *and* discusses its importance and its types. *The second section:* discusses the merit of silence, holding one`s tongue, the sayings on prohibition of excessive speech , indulging in falsehood, the encouragement for speaking when necessary, and the examples of silence and speech preservation from the companions and the followers.

This research aims to highlight the virtue of *silence* and its important aspects, as the need for people to know noble ethics is extremely urgent as long as humans exist in this world.

.

❖ **المقدمة**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجهم القويم إلى يوم الدين، أما بعد.

فإن نعم الله عز وجل على عباده لا تعد ولا تحصى؛ قال جلَّ من قائل سبحانه: ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ**﴾ [1]، والعاقل الموفق يحرص على تسخير كل نعمة فيما يرضي ربه وخالقه، ولا يستعملها فيما يسخطه، ولو تأمل العبد في

(1) سورة النحل من الآية 18.

هذه النعم والآلاء لاستحى كل الحياء من أن يستعملها فيما يسخط الله جل وعلَا عليه، بل يحرص على شكر الله تعالى عليها ليكون من السعداء.

ومن نعَمِ الله سبحانه على عباده نعمةُ النطقِ باللسانِ؛ فمن نطق بخير فهو من السعداء، وكانت هذه النعمة سبب رفعة في الدنيا والآخرة؛ كما أنها يمكن أن تكون سبب سخط من الله، وتوعدٍ بعذاب شديد؛ عن أَبِي هُرَيْرَةَ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)**[1].

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة بأساليب مختلفة متغايرة تحث على القول الحسن، أو الصمت عما لا فائدة وراءه؛ بل جاءت بالتصريح في بيان أن من الإيمان قول الخير أو الصمت؛ كما سيأتي توضيحه بمشيئة الله تعالى.

وفي هذا البحث بيانٌ لهذا الخلق الإسلامي العظيم، وبيان لِأَثَرِه على المسلم المتمسك به على ما ورد في صحيحي الإمام البخاري، ومسلم، ومسند الإمام أحمد بن حنبل _ رحمهم الله تعالى _.

❖ **أهمية الموضوع:**

لهذا الخلق العظيم مقام رفيع في شريعتنا الغراء؛ فقد حثَّ عليه النبي الكريم ﷺ حثًّا عظيما في نصوص كثيرة تصريحًا وتلويحًا؛ فمما يبيِّنُ أهميته ما يلي:

- هذا الخلق العظيم من أبرز خصال أهل الكمالات والمروءات.
- حثُّ الشرع المطهر عليه وترغيبه فيه.
- يجنب العبد من الوقوع في آفات اللسان، ومنكرات الأقوال.
- ينجي من الوقوع في الاعتذار المستمر؛ لأن كثرة الكلام مظنة الهفوات ، وهي مدعاة لكثرة الاعتذارات.
- كثرة غفلة الناس عن هذا الخلق العظيم، ووقوعهم فيما يناقضه.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان 101/8 الحديث 6478، ومسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، باب: التكلم بالكلمة يهوي بها في النار 244/8: الحديث 2988، واللفظ للبخاري، زاد مسلم: «**يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**».

❖ **أسباب اختيار الموضوع:**

من أبرز ما دفعني للكتابة في هذا الموضوع النافع مع ما ذكر من الأهمية الأسباب الآتية:

- الرغبة في التقرير هذا الخلق العظيم، والحثّ عليه.
- ما أراه من إهمال وتفريط كبير من العامة والخاصة في التحلي بهذا الخلق السامي.
- قلة طرق هذا الخلق العظيم في المجالس العلمية وغيرها.

❖ **الدراسات السابقة:**

اهتم العلماء اهتماما بالغا ببيان الأخلاق الفاضلة الحميدة بصفة عامة؛ ومن ضمنها بيان هذا الخلق العظيم، وما ذاك إلا لعلمهم بمنزلته العلية في الدين، فلا يكاد مؤلَّفٌ، أو مصنّفٌ يذكر الأخلاق والمروءة إلا ويذكر هذا الخلق العظيم، ويحض عليه، فمن المؤلفات التي خصت هذا الباب العظيم بالتصنيف:

- كتاب الصمت وآداب اللسان، لابن أبي الدنيا [1]، وهو كتاب نفيس، رتبه على الأبواب، وترجم لها، وأدرج فيها من الأحاديث والآثار ما يناسب ترجمة الباب، ومجموع الأبواب ستة وعشرون بابًا، ومجموع الأحاديث والآثار 754حديثًا وأثرًا، يبدأ بعد ترجمة الباب بذكر الأحاديث النبوية، ثم يذكر آثار الصحابة، ويختم الأبواب ببعض أقوال التابعين والحكماء، وبعضِ أشعارهم في هذا الباب.
- حسن السمت في الصمت، للسيوطي [2]، وأصل هذا الكتاب اختصارٌ لكتاب الصمت لابن أبي الدنيا الآنف الذكر، ولكن زاد عليه بعض الزيادات النافعة المفيدة.
- عبادة الصمت، بقلم الدكتورة فاطمة هرشو، وهو عبارة عن مقال منشور عبر الشبكة العنكبوتية، ذكرت فيه تعريف الصمت في اللُّغَة، وفي اصطلاح المتصوفة وذكرت

(1) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان الأموي القرشي، المعروف بابن أبي الدنيا، توفي 281هـ، كان واسع التصنيف والتأليف رحمه الله رحمة واسعة، تنظر ترجمته في تاريخ بغداد 293/11، وسير أعلام النبلاء 397/13.

(2) هو عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، توفي 911هـ، تنظر ترجمته في سلم الوصول إلى طبقات الفحول 2 / 248 ، وشذرات الذهب 10/ 75، والبدر الطالع 1 / 328 ، والأعلام للزركلي 3 / 301 .

نقولًا كثيرة عن الصوفية، وهو مملوءة بالمخالفات العقدية لأهل السنة والجماعة[1].

- غالب الكتب التي تُعنى بذكر الأخلاق الحميدة تذكر هذا الخلق القويم، فيكون فيها ضمنًا، ومن تلك الكتب على وجه التمثيل كتاب موسوعة الأخلاق، إعداد مؤسسة الدرر السنية، فقد جمعت في هذا الموضوع جمعًا طيبًا أفدت منه، ورجعت للكتب الأصيلة التي أفادت منه.

❖ **منهج البحث**:

اتبعت في بحثي عدة مناهج، وهي المنهج النقلي، والوصفي، والنقدي، والاستدلالي، والاستنباطي[2].

❖ **خطة البحث**:

قسَّمتُ مادة هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس علمية.

فأما المقدمة فذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

وأما التمهيد فذكرت فيه مكانة الأخلاق في شريعة الإسلام، وحثَّ الشرع المطهر على التحلي بها، وأنه رتَّبَ عليها الأجور العظيمة، وأنها سبب للرفعة في الدنيا والآخرة، وفي المقابل نفَّر من نقيضها وهي الأخلاق الذميمة، وحذَّر من الوقوع فيها، وكل ذلك ليسموَ العباد في هذا الدين القويم.

وأما المبحثان فعلى النحو التالي:

المبحث الأول - خلق الصمت، وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول - تعريف الصمت في اللغة، وفي اصطلاح العلماء.

المطلب الثاني - الفرق بين الصمت والسكوت.

المطلب الثالث - أهمية الصمت.

(1) ذكرت هذا المقال لكيلا يغتر به؛ لأنه كما أسلفت مملوء بالمخالفات العقدية.

(2) ينظر كتاب المفيد في منهجية البحث ومعالجة الظواهر السلبية ص49، لأستاذنا عبد الله النقراط.

المطلب الرابع - أقسام الصمت.

المبحث الثاني - ما ورد من الأحاديث في خلق الصمت، وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول - ما ورد في فضلِ الصمتِ، وحفظِ اللسانِ.

المطلب الثاني - ما ورد من النهي عن فضول الكلام، والخوض في الباطل.

المطلب الثالث- ما ورد فيه الحثُّ من الكلام.

المطلب الرابع - ما ورد عن الصحابة والتابعين من الصمت وحفظ اللسان.

وأما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من البحث.

تمهيد.

إن من يتأمَّل نصوص الوحيين يرى الآيات والأحاديث الكثيرة تحث عن الأخلاق التي ينبغي للمسلم أن يتحلَّى بها، وهذا أعظم دليل على مكانة الأخلاق الحميدة في هذا الدين القويم؛ قال تعالى: ﴿ **وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿ **وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ** ﴾[4]، فهذه الآيات غيض من فيض، واللبيب تكفيه الإشارة[5].

وأما السنة النبوية فقد جاء عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة تحث على التحلي بالأخلاق الحميدة الفاضلة، وجاء فيها بيان عظم أجرها عند الله تعالى، كما سيأتي ذكرها في هذا البحث.

(1) سورة آل عمران من الآية 134.

(2) سورة البقرة من الآية 83.

(3) سورة الأعراف من الآية 199.

(4) سورة البقرة من الآية 197.

(5) ينظر مكارم الأخلاق لمن أراد الخلاق ص 8.

ونقل لنا الصحب الكرام كيف كان خلق النبي ﷺ؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله أحسن الناس خلقا** »[1].

ويقول أيضا رضي الله عنه: « **لقد خدمتُ رسولَ اللهِ ﷺ عشرَ سنينَ، فما قال قَطُّ: أُفٍّ، ولا قال لشيء فعلتُهُ: لِمَ فعلتَهُ؟ ولا لشيء لم أفعله: أَلاَّ فعلتَ كذا**»[2].

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتأسي بالنبي الكريم ﷺ في الأمور كلِّها -إلا ما كان من قبيل خصائصه '- والصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على معرفة أخلاق النبي ﷺ ليتأسوا بها؛ سُئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت للسائل: «**ألست تقرأ القرآن؟** قال قلت: بلى، قالت: «**فإنّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كانَ القُرآنُ**»[3].

ومن الأحاديث العظيمة التي تحضُّ على التحلِّي بالأخلاق الحميدة؛ ما صحّ عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ**»[4].

فمن تأمل النصوص من السنة المطهَّرة الحاثّةِ على الأخلاق الحميدة الفاضلة علمَ يقينًا مكانتها وعِظمَ أهميتها؛ فإن مَن اعتقد أن أثقل شيء في ميزان العبد يوم يلقى ربّه ' الخلقُ الحسنُ اجتهد في ضبطها وإتقانها.

المبحث الأول - خلق الصمت.

المطلب الأول - تعريف الصمت في اللُّغة، وفي اصطلاح العلماء.

الصمت في اللُّغة: صَمَتَ يصمتُ صُمْتًا وصُمُوتًا وصُمَاتًا: سَكَتَ، وأَصْمَتَ مثله، والتّصْمِيتُ: التّسْكِيتُ، ويقال لغير الناطق: صامِتٌ، ولا يقال: ساكـــــتٌ، وأَصْمَتُّـــهُ أنا

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الأدب، باب: الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، الحديث رقم 6203 (45/8)، ومسلم كتاب: المساجد، باب: جواز الجماعة في النافلة، حديث رقم 659 (457/1).

(2) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل 14/8، الحديث رقم 6038، ومسلم كتاب: الفضائل، باب: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا 73/7، حديث رقم 2309.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض 512/1، حديث رقم 746.

(4) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب: حسن الخلق 177/7، حديث رقم 4799. والترمذي في جامعه، أبواب: الصلة، باب: ما جاء في حسن الخلق 362/4 حديث رقم 2002. واللفظ للترمذي، وقال عقبه: وهذا حديث حسنٌ صحيحٌ. وفي الباب عن عائشة، وأبي هريرة، وأنس، وأسامة بن شريك.

إصْمَاتًا إذا أسْكَتُّهُ، ويقال: أخذهُ الصُّمَاتُ: إذا سكت ولم يتكلم[1].

وأما الصمت في اصطلاح أهل اللغة: فقد الخاطر بوجد حاضرٍ، وقيل: سقوط النطق بظهور الحق، وقيل: انقطاع اللسان عند ظهور العيان[2].

وقال الكفوي: «الصمت: إمساكٌ عن قولهِ الباطلِ دون الحقِّ»[3].

المطلب الثاني _ الفرق بين الصمت والسكوت.

الفرق الجوهري بين الصمت والسكوت هو أن السكوت ترك للكلام مع القدرة عليه، بهذا القيد يفارق الصمت[4].

ومن الفروق أيضا أن الصمت يراعى فيه الطول النسبي؛ فإن من ضَمّ شفتيه آنًا يكون ساكتًا، ولا يكون صامتًا؛ إلا إذا طالت مدة الضمِّ.

والسكوت إمساك عن الكلام حقا كان أو باطلا، أمَّا الصمت فهو إمساكٌ عن قول الباطلِ دون الحقِّ[5].

قال الراغب الأصبهاني : « والصمت أبلغ من السكوت؛ لأنه قد يستعمل فيما لا قوّةَ له للنُّطقِ ، وفيما له قوَّةُ النُّطْقِ؛ ولهذا قيل لما لا نطق له الصَّامتُ والمُصْمَتُ، والسكوت يقال لما له نطق فيترك استعماله»[6].

المطلب الثالث - أهمية الصمت.

مما لا شكّ فيه أن من يتأمل في النصوص التي تحذِّرُ العباد من الخوض والتكلم بما لا فائدة فيه، أو بما لا يعنيهم؛ يجد الوعيد الشديد في ذلك، فإنه يعلم أهمية خلق الصمت

(1) ينظر: العين للخليل الفراهيدي 106/7، وجمهرة اللغة لابن دريد 400/1، والصحاح تاج اللغة للجوهري 256/1، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ص522، (مادة: صمت).

(2) التوقيف على مهمات التعاريف ص219.

(3) الكليات للكفوي، فصل السين، ص 509.

(4) تاج العروس للزبيدي 559/4، (مادة: سكت).

(5) ينظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية 93/2، ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ 2634/7 .

(6) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصبهاني (ص192).

ومكانته، النبي ﷺ جعل النجاة في الصمت عن الكلام الذي لا فائدة تجنى من وراءه، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« **مَنْ صَمَتَ نَجَا**»[1].

ولعظم أهمية الصمت وفضله فقد كان النبي ﷺ يدعو الله عز وجل في مقام من أشرف مقامات العبودية؛ وهو قيام الليل فقد جاء في صحيح مسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: فذكر دعاء طويلا ومنه قوله: «**وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ**»[2].

ومن نظر بتأمل في النصوص التي تحث على التخلق بصفة الصمت عما لا فائدة منه، وما أعده الله سبحانه وتعالى من جزيل الثواب علم أهمية هذا الخلق العظيم، وكذلك التأمل في العواقب الوخيمة والسيئة للكلام الذي لا فائدة فيه والذي يفضي إلى الباطل[3].

المطلب الرابع - أقسام الصمت.

الصمت ينقسم قسمين:

صمت محمود: أن تصمت عن كل ما حرّم الله سبحانه وتعالى، ونهى عنه مثل: الغيبة، والنميمة، والبذاءة وغيرها، وكذلك الصمت عن الكلام المباح الذي يؤدي بك إلى الكلام الباطل؛ قال ابن عبد البر ¬: «وإنّما الصمت المحمود الصَّمت عن الباطل»[4].

وقال العيني - : « الصمت المباح المرغوب فيه؛ ترك الكلام الباطل، وكذا المباح الذي يجرُّ إلى شيء من ذلك»[5].

---

(1) أخرجه ابن وهب في جامعه ص416 حديث رقم 302، وأحمد في مسنده 19/11 حديث رقم 6481، والترمذي في الجامع، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ 241/4 حديث رقم 2501، كلهم من طرق عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وابن لهيعة هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي، أبو عبد الرحمن المصري، القاضي، صدوق خلط بعد احتراق كتبه، ينظر تقريب التهذيب ص 319، مثله لا يقبل تفرده، وقد توبع بما رواه الطبراني من طريق عبد الله بن وهب قال: أخبرني عمرو بن الحارث، حدثنا يزيد بن عمرو المعافري به مثله. معجم الطبراني الكبير 47/13: 114، وهذا إسناد رواته ثقات؛ قاله المنذري في الترغيب والترهيب 536/3.

وممن قوى الحديث ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 547/1، وابن حجر في فتح الباري 309/11، والألباني في السلسلة الصحيحة 72/2.

(2) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها – باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه 185/2.

(3) ينظر موسوعة الأخلاق الإسلامية 105/2.

(4) ينظر التمهيد لابن عبد البر 20/22.

(5) ينظر عمدة القارئ 291/16.

صمت مذموم: وهذا النوع من الصمت الذي لا يَجْمُلُ بالرجل أن يصدر منه، كالصمت في المواطن التي يتطلب منك أن تتكلم فيها، مثل الأماكن التي ترى فيها المنكرات، وكذلك الصمت عن نشر الخير، وكتم العلم[1].

قال ابن تيمية -: «والصّمتُ عمّا يجب من الكلام حرام سواء اتَّخذه دينًا، أو لم يتَّخذه كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فيجب أن تحب ما أحبَّهُ الله ورسوله، وتُبْغض ما يبغضه الله ورسوله، وتبيح ما أباحه الله ورسوله، وتحرِّم ما حرّمه الله ورسوله»[2].

وقال الباجي -: « وأمّا الصّمتُ عن الخير، وذكر الله عَزَّوَجَلَّ، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر فليس بأمور به؛ بل هو منهيّ عنه نهي تحريم، أو نهي كراهةٍ»[3].

المبحث الثاني - ما ورد من الأحاديث في خلق الصمت.

المطلب الأول -ما ورد في فضلِ الصمتِ، وحفظِ اللسانِ:

لقد حثّ القرآن العظيم على مراقبة اللسان، والحذر من تفلته، وإن من أعظم آيِ القرآن في الحثِّ على مراقبة العبد ما يتلفّظُ به من كلامٍ؛ هو قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[4]، قال السمعاني - : «أي: رقيب حاضر، قال الحسن البصري -: يكتبُ الملكان كل شيء حتّى قولهُ لجاريته: اسقني الماء، وناوليني نَعْلِي، أَعْطِني رِدَائِي. ويُقالُ: يَكتب كُلّ شيءٍ حتّى صفيرهُ بِشُرْبِ الماءِ»[5]، وقال الشوكاني - : « أَيْ: مَا يَتَكَلَّمُ مِنْ كَلَامٍ، فَيَلْفِظُهُ وَيَرْمِيهِ مِنْ فِيهِ إِلَّا لَدَيْهِ؛ أَيْ: عِنْدَ ذَلِكَ اللَّافِظِ رَقِيبٌ؛ أَيْ: مَلَكٌ يَرْقُبُ قَوْلَهُ وَيَكْتُبُهُ، وَالرَّقِيبُ: الْحَافِظُ الْمُتَتَبِّعُ لِأُمُورِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَكْتُبُ مَا يَقُولُهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَكَاتِبُ الْخَيْرِ هُوَ مَلَكُ الْيَمِينِ، وَكَاتِبُ الشَّرِّ مَلَكُ الشِّمَالِ، وَالْعَتِيدُ: الْحَاضِرُ الْمُهَيَّأُ»[6].

فإذا استحضر العبد هذه الأمور عند كلامه فإنه سيجتهد في قول ما يكون حجّةً له لا عليهِ.

(1) ينظر موسوعة الأخلاق الإسلامية 104/2.

(2) ينظر مجموع فتاوى 294/25.

(3) ينظر المنتقى شرح الموطأ لأبي الوليد الباجي 242/7.

(4) سورة ق من الآية 18.

(5) تفسير القرآن للسمعاني 240/5.

(6) ينظر فتح القدير 89/5.

الحديث الأول _ حديث عبد الله بن عمرو ﷺ، وفيه مسائل.

المسألة الأولى _ نَصُّ الحديث:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ﷺ، قَالَ: « **الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**».

المسألة الثانية _ تخريج الحديث:

الحديث متفق عليه(1)، وقد رَوَى الحديثَ من الصحابة ﷺ غيرُ ابنِ عمرو ﷺ ، رواه أبو موسى الأشعري ﷺ(2) ، وفيه: قالوا يا رسول الله، أي الإسلام أفضل؟.

وجابر بن عبد الله ﷺ (3).

المسألة الثالثة – المعنى الإجمالي للحديث:

من المعلوم أن شرائع الإسلام كثيرة، وكذلك فضائله، وهذا من نعم الله ورحمته ، فعندما يسأل الناصح الأمين ﷺ عن أي الإسلام أفضل فيجيب بقوله: « **الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»، فيه دلالة على عظمِ أمر اللسان واليدِ في الشرع المطهّرِ، وفيه إشارةٌ إلى أن جُرْمَ اللِّسانِ أعظمُ من جرم اليد؛ حيث بدأ باللسان ثمّ عطف باليد، فإن من توفيق لله ﷻ للعبد أن يكون ممن سلم المسلمون من لسانه لينال مرتبة الأفضلية بين المسلمين.

المسألة الرابعة – فقه الحديث:

دلَّ منطوق الحديث أن من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده فهو المسلم، فهل يدل بمفهوم المخالفة: أن من لم يسلمْ المسلمون من لسانه ويده بأنه خارج عن دين الإسلام؟

الجواب: لا يدلُّ على ما ذكر، وإنّما مراده ﷺ أن المسلم الفاضل، المتمسك بتعاليم دين الإسلام هو من كانت هذه صفته، وما نقص من هذه الصفة ينقص قدره من الإسلام بقدرها؛ قال الخطابي - : «يريد أن المسلم الممدوحَ هو من كان هذا صفتهُ، وليس ذلك على معنى أن من لم يَسلَمِ الناسُ من لسانهِ ويدهِ مِمّنْ قد دخل في عقد الإسلام فليس بمسلم،

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده 11/1 حديث رقم 10، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل 65/1 حديث رقم 40.

(2) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده 11/1 حديث رقم 11، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل 65/1 حديث رقم 42.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل 65/1 حديث رقم 42.

وكان بفعله المنبئ عنهُ خارجًا منَ المِلّةِ، وإنما هو كقولك: الناسُ العربُ، والمالُ الإبلُ، تريد أن أفضلَ الناسِ العربُ، وأفضلَ الأموالِ الإبلُ، كذلك أفضلُ المسلمينَ من جمع إلى أداء حقوق الله فيما أوجبه عليه من فرائضه أداءُ حقوقِ المسلمينَ، والكف عن أعراضهم، وكذلك المهاجر الممدوح هو الذي جمع إلى هجران وطنه هجر ما حرمه الله عليه. ونفي اسم الشيء على معنى نفي الكمال عنه مستفيض في كلامهم. ألا تراهم يقولون للصانع إذا لم يكن متقنا (لعمله) محكما له: ما صنعت شيئا ولم تعمل عملا، وإنما يريدون بذلك نفي الإتقان له، لا نفي الصنعة عينها، فهو عندهم عامل بالاسم غير عامل في الإتقان»[1].

وقال الفضيلُ بن عياضٍ ¬: « لا يُفْهَمُ من هذا أنّ منْ ليسَ بهذه الصفة ليس بمسلم، وهو كما يقالُ: المالُ الإبل، والناسُ العرب، على التفضيل لا على الحصر»[2].

الحديث الثاني – عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، وفيه مسائل.

المسألة الأولى – نَصُّ الحديث:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ» .

المسألة الثانية – تخريج الحديث:

أخرجه البخاري في صحيحه[3]، عن مُحَمَّد بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيّ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، سَمِعَ أَبَا حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ عن النبي ﷺ.

المسألة الثالثة – المعنى الإجمالي للحديث:

من المعلوم أن القرآن الكريم، والسنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ وَحْيٌ من الله ﷻ وما كان وَحْيًا فهو صِدْقٌ وَحَقٌّ ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا**﴾[4]، و﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا**﴾[5]، وعد النبي ﷺ في هذا الحديث أن من ضَمِنَ له من أمّتهِ ما بين لَحْيَيْهِ، وما بين رِجْلَيهِ ضَمِنَ له الجَنّةَ، وهذا الوعد من عند الله ﷻ: ﴿**وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ**

(1) ينظر أعلام الحديث شرح صحيح البخاري 146/1.

(2) ينظر إكمال المعلم بفوائد مسلم 277/1.

(3) كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان 100/8 حديث رقم 6474.

(4) سورة النساء من الآية 87.

(5) سورة النساء من الآية 122.

﴿ٱلْمِيعَادَ﴾ [1]، وفي الحديث إشارة على أنّ الأمر يحتاج إلى مجاهدةٍ ومصابرة في التمسك به، وعدم التساهل فيه، فكلما كان الثواب عظيما؛ كانت المثابرة والمجاهدة والمصابرة أعظم.

المسألة الرابعة- فقه الحديث:

دلّ الحديث على أن أعظم الذنوب والموبقات تكون من هاتين الجارحتين؛ الفمِ والفرجِ، ومن تأمل في ذلك على سبيل التمثيل؛ يجد أن أعظم ذنبٍ عصي به ربنا ﷻ هو الإشراك به، وأسهل ما يوصل إليه الفمُ، كذلك السَبُّ للدينِ يكون بجارحة الفم، والكذبُ وقول الزور كذلك بالقول بالفم، وقذفُ المحصنات والقول في أعراض المسلمين كذلك يكون بجارحة اللسان والفم، ومن الفرج الزنى واللواط، وغيرهما من معاصي الفرج، فما بقي من الذنوب والآثام في غير هاتين الجارحتين قليل مقارنة بهما.

فرع:

- ما المراد بالضمان الوارد في الحديث؟

الجواب: المراد به: هو الوفاء بترك المعاصي بهما[2].

الحديث الثالث – عَنْ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وفيه مسائل:

المسألة الأولى – نَصُّ الحديث وتخريجه:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **مَنْ صَمَتَ نَجَا**» [3].

المسألة الثانية – المعنى الإجمالي للحديث:

لقد أوتي النبي ﷺ جوامعَ الكلمِ، واختصر له الكلام اختصارا، وفي هذا الحديث بَيّن النبي ﷺ أن الصمت منجاة للعبد من الوقوع فيما يعود عليه بالحسرة والندامة، فهذا الحديث قاعدةٌ للعباد قبل الكلام الذي يُتلفظُ به، للمتكلم أم عليهِ؟ فإذا كان لهُ ويرجو عاقبته الحسنة نطق به، وإذا كان سيعود عليه بالندامة والحسرة امتنع عن النطق به وصمت عنه فينجو من تبعاته الوخيمة.

المسألة الثالثة –ما يستفاد من الحديث:

1- فيه مثال من أمثلة جوامع كَلِمِ النبي ﷺ، فهو وجيز العبارة عظيم الفائدة.

(1) سورة الزمر من الآية 20.

(2) ينظر كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي 2/ 282.

(3) سبق تخريجه والحكم عليه في هذا البحث.

2- فيه بيان أن من الأخلاق ما يكون سببا للنجاة من الزلل ثم العقاب.

3- فيه بيان نصح النبي ﷺ لأمته.

المطلب الثاني - ما ورد من النهي عن فضول الكلام، والخوض في الباطل.

الحديث الأول - حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

المسألة الأولى - نص الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»

المسألة الثاني - تخريج الحديث:

متفق عليه[1]، واللفظ للبخاري، وجاء في رواية مسلم: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا ، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**».

المسألة الثالثة _ المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث من أعظم النصوص الدّالة على خطورة الآثار المترتبة على ما يتكلم به العبد، فإنّ فيه الوعيد الشديد، فمن علم ما جاء به النبي ﷺ في ذلك، وآمن به حقّ إيمانه، اتقى الله في لسانه، فيتكلم حيث يغنم، ويصمت حيث يسلم.

المسألة الرابعة _ فقه الحديث:

فيه من الفقه: أن المؤمن عليه ألا يزهد في قليل من الخير يأتيه، ولا يستقل قليلا من الشّرِّ يجتنيه فيحسبه هينًا، وهو عند الله سبحانه وتعالى عظيم، فإن المؤمن لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها، ولا يعلم السيئة التي يسخط الله عليه بها.

وفيه إثبات صفة الرِّضى لله عز وجل؛ ففي الحديث قوله: « منْ رِضْوانِ الله».

وفيه إثبات زيادة درجات العباد، وأنهم ليسوا سواءً في الرِّفعة والمكانة عند الله سبحانه وتعالى.

وفيه أن عدم قصد الزلل لا يمنع العقوبة؛ ففي الحديث قوله: « لَا يُلْقِي لها بالًا»؛ أي: أنه يتهاون فيها، ولا يلقي لها وزنًا ظنًّا منه أنها هينة، وأنه لا يقصد بها أن يسخط الله عليه، ومع هذا هي تسخط الله عليه، ولم تمنع هذا السخط الوارد في الحديث.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان 101/8، حديث رقم 6478، ومسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، باب: التكلم بالكلمة يهوي بها في النار 2290/4، حديث رقم 2988.

فرع - أيُّهما أفضل الصمت أم السكوت؟

لم يفضل العلماء أحدهما على الآخر مطلقا، وإنما ما وافق الحكمة والسنة في موقفه كان هو العدل والصواب؛ قال ابن القيم ¬: « وفي اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كلّ منهما أعظم إثمًا من الأخرى في وقتها، فالساكت عن الحقّ شيطان أخرس عاصٍ لله مُراءٍ مداهنٌ إذا لم يخف على نفسه، والمتكلّم بالباطل شيطان ناطق عاصٍ لله ﷻ، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط -وهم أهل الصراط المستقيم- كَفُّوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعُه في الآخرة، فلا يرى أحدهم أنّه يتكلّم بكلمة تذهب عليه ضائعةً بلا منفعة، فضلًا عن أن تضرّه في آخرته، وإنّ العبد ليأتي يوم القيامة بحسناتٍ أمثالِ الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلَّها؛ ويأتي بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به»[1]، وقال ابن رجب ¬: « فليس الكلام مأمورا به على الإطلاق، ولا السكوت كذلك، بل لابد من الكلام بالخير والسكوت عن الشر، وكان السلف كثيرا يمدحون الصمت عن الشر، وعما لا يعني لشدته على النفس، وذلك يقع فيه الناس كثيرا، فكانوا يعالجون أنفسهم، ويجاهدونها على السكوت عما لا يعنيهم»[2].

خلاصة القول: أن من علم أن في كلامه غنيمة ومرضاة لمولاه نطق بالحق والحكمة، ومن علم أن في كلامه سخطًا وغضبًا لمولاه تقرب إليه بالصمت، ولا تنال هذه المرتبة الرفيعة إلا بالمجاهدة، ومعرفة قدر الله ﷻ وتعظيمه في القلوب.

الحديث الثاني - حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ:

المسألة الأولى - نص الحديث:

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « **إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ**» .

(1) ينظر الجواب الكافي لابن القيم 1/ 375.

(2) ينظر جامع العلوم والحكم لابن رجب 1/ 341.

المسألة الثانية -تخريج الحديث: متفق عليه[1]، من حديث ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ.

المسألة الثالثة - المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث يؤكد على عظم جُرْم من تكلم بكلام كان سببا في تحريم شيء لم يكن محرما لولا أن المتحدث تكلم فيه، وهو في الغالب الأعم من التكلف المذموم، وهو من صفات اليهود؛ ربنا سبحانه ابتلى اليهود بأمره لهم أن يذبحوا بقرة، ولم يأمرهم في أول الأمر أن تكون بقرة بصفاتٍ معينةٍ، ولكنهم تكلفوا فأكثروا الكلام عنها، والسؤال عن أدق أوصافها فشددوا على أنفسهم؛ قال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ**﴾[2]؛ فحذر النبي ﷺ الأمة من أن يكون حال أحدهم مثل حال اليهود ، فيحرم شيء على الأمة لم يكن محرما قبل المسألة، فيكون هذا السائل هو السبب في ذلك.

المسألة الرابعة - فقه الحديث:

فيه من الفقه: تصنيف النبي ﷺ للجُرْمِ بأنه درجات، بعضها أعلى من بعض.

وفيه: أن بعض الآثام والمساوي، يتعدى ضررها لمن لا صلة له بها في الأصل.

وفيه: بقاء وصف الإسلام لمن اقترف ذنبا؛ وإن كان كبيرةً، وفي هذا ردٌّ على الخوارج الذين يكفرون المسلمين على ارتكاب الكبائر.

المطلب الثالث - ما ورد فيه الحثُّ من الكلام.

إن من أعظم نعم الله عَزَّوَجَلَّ على عباده أن جعل لهم الثواب العظيم على كثير من الأقوال التي يقولها العباد إيمانًا واحتسابًا؛ فيكرمهم عليها الثواب الجزيل؛ من ذلكم تلاوة القرآن الكريم، ومن ذلكم أذكار الصباح والمساء، وذكر الله عَزَّوَجَلَّ عموما؛ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ

(1) أخرجه البخاري في صحيحه - واللفظ له - كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما يكره من كثرة السؤال 9/ 95. حديث 7289، ومسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: توقيره وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه 9/ 95 حديث 2358.

(2) سورة البقرة: من الآيات 67 _ 69.

ﷺقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟**» قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « **ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»، وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ: «**مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[1].

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ**»، قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «**نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ**»[2].

﴿ **وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾[3].

هذا ثواب عظيم من الله ﷻ سببه الكلمة الحسنة الطيبة التي قالها الرجل الموسر.

الحديث الأول - حديث عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ ﷺ:

المسألة الأولى - نص الحديث:

عن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺالنَّارَ فَأَعْرَضَ، وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: «**اتَّقُوا النَّارَ**»، ثُمَّ أَعْرَضَ، وَأَشَاحَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: « **اتَّقُوا النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ** ».

المسألة الثانية - تخريج الحديث:

متفق عليه[4]، واللفظ لمسلم، من حديث أَبِي مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ عن النبي ﷺ.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب: الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر - ما عمل آدمي من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله 1/ 496 حديث 1831.
وقال الحاكم: « هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: فضل إنظار المعسر 33/5 حديث 1561.

(3) سورة البقرة من الآية 83.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذب 112/8 حديث رقم 6540، ومسلم في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: فضل إنظار المعسر 33/5 حديث 1561.

المسألة الثالثة – المعنى الإجمالي للحديث:

يحث النبي الكريم ﷺ أمته على الحرص على قول الكلمة الطيبة، واعتبرها من تقوى القلوب، ومن العمل الصالح الذي يحرص على التمسك به؛ لأن النبي ﷺ اعتبر الكلمة الطيبة بديلا على عبادة هي من أجل العبادات المتعدي نفعها.

المسألة الرابعة – فقه للحديث:

فيه من الفقه الدعوة إلى تقوى الله سبحانه ولو بأقل القليل، فالعمل القليل مع نية عظيم يكون نافعا مثمرا.

وفيه عدم احتقار شيء من الأعمال الصالحة.

وفيه أن الكلمة الطيبة تعادل التصدق في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن في كلا الأمرين نفع متعدٍ.

الحديث الثاني _ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه:

المسألة الأولى – نص الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:« **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**» .

المسألة الثانية – تخريج الحديث:

متفق عليه[1]، وهو قطعة من حديث أطول منه، من حديث أَبِي حَصِينٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

المسألة الثالثة – المعنى الإجمالي للحديث:

يذكر النبي ﷺ الصلة الوثيقة بين الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ واليوم الآخر وبين قول الخير والحق، فمن كان قلبه عامرا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مراقبا له فإنه سيحاسب نفسه ويجتهد على ألا يخرج منه إلا الحق وما فيه سلامته، ومن علم ذلك وآمن به فسيثمر في قلبه.

المسألة الرابعة – فقه الحديث:

فيه من الفقه الرابط بين حسن الخلق وفعله هو الإيمان بالله واليوم الآخر.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره 11/8 حديث رقم 6018، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا من الخير وكون ذلك كله من الإيمان 49/1 حديث 47.

وفيه من الفقه أن الصمت عند عدم وجود الكلام الطيب والحسن خير من الكلام غير الحسن.

المطلب الرابع - ما ورد عن الصحابة والتابعين من الصمت وحفظ اللسان.

للصحب الكرام، والتابعين لهم بإحسان من سلف الأمة قصبُ السبقِ في النصح للأمة بعد نبيها ﷺ فَأُثِرَتْ عنهم نصائحُ عدة في التحلي بخلق الصمت إلا من خير، وفي حفظ اللسان ومراقبته، فكانت مضيئةً لهذا الجانب؛ فمن تلكم الأقوال:

_ قال ابن مسعود رضي الله عنه: «**ما من شيء بأحق بطول السِّجْنِ من اللسان**»[1].

_ وقال أيضا رضي الله عنه: «**أُنْذِرُكم فضول الكلام، بحسب أحدكم ما بلغ حاجته، أكثر الناس خطأ يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل**»[2].

_ وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: « **لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين**: **صموتٍ واعٍ، وناطقٍ عالمٍ**»[3].

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فأرى أن البحث حقق هدفه المنشود، وهو التعريف بخلق الصمت، ومعرفة أهميته، وفضله، وثمرته، ومعرفة الفرق بينه وبين السكوت، والأحاديث الواردة في الصحيحين ومسند أحمد في هذا الخلق النبيل، وفي ختام هذا البحث يصل الباحث للنتائج الآتية:

1 - الأخلاق الحميدة ليست مجرد عرف، أو عادة وطبع، وإنما هي عبادة من أجلِّ العبادات إن قصد بها الامتثال لأمر الله عز وجل.

2 - كثرة النصوص الواردة في الكتاب والسنة التي تحثُّ على التحلِّي بالأخلاق الحميدة، وهذا دليل على عظم فضلها.

3 - خلق الصمت من أعظم أسباب النجاة من تبعات اللسان وآفاته، وهو رأس الحكمة.

(1) ينظر الجامع لابن وهب (ص419).

(2) ينظر شرح السنة للبغوي (320/14).

(3) ينظر المصدر نفسه (320/14).

4- شدة الوعيد الوارد في فيمن أطلق للسانه العنان ولم يعتن بحفظه.

5 - شدة عناية السلف الصالح من الصحابة ﷺ والتابعين لهم بخلق الصمت، وذلك لكثرة النصوص الواردة عنهم في هذا الباب.

أمَّا التوصيات التي يوصي بها الباحث فهي الآتي:

1 - العناية بإبراز أخلاق الإسلام السمحة الحميدة، ومن صور ذلك إعطاء هذا الجانب المهم الوقت الكافي في المدارس التعليمية التربوية.

2 - العناية بالكتب التي تخدم هذا الباب بإعادة طباعتها وتوزيعها على الناس لينتشر الوعي المجتمعي بها، فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت، فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

3- الخطباء، والأئمة والمصلحون في المجتمع لابدَّ أن يكثفوا الجهود في هذا الجانب، وكذلك طلاب العلم عليهم نشر هذه الفضائل في المجتمع ليعم الخير والنفع.

هذا ما يسر الكريم من جمع لهذه المادة، فما كان من صواب فهو محض منة منه ﷻ ، فأشكره على إنعامه وتفضله علي، وأسأله الزيادة من فضله ونواله، وما كان فيه من خلل وتقصير، فهو من مجانبتي للصواب فأستغفر الله وأتوب إليه ، وأسأله أن يعلمني من لدنه علمًا نافعًا، هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

==========

ثبت المصادر والمراجع

1. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة، لابن حجر العسقلاني (852هـ)، مجمع الملك فهد، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994م.
2. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان أبي حاتم، البُستي (ت 354هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت 739 هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م.
3. أعلام الحديث، لأبي سليمان الخطابي (ت 388هـ)، الناشر: جامعة أم القرى الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1988 م.

4. الأعلام، لخير الدين بن محمود الزركلي (ت 1396 ه)، الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م .

5. الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن (هُبَيْرَة بن) الذهلي الشيبانيّ، (ت ٥٦٠ه) المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار الوطن.

6. إكمال المعلم، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت544ه)، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر.

7. الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224ه)، طبعة دار المأمون للتراث.

8. البدر الطالع، لمحمد بن علي الشوكاني (ت1250ه)، دار المعرفة بيروت.

9. تاج العروس لمحمد بن محمد الحسيني الزبيدي (ت1205ه)، دار الهداية.

10. تاريخ الإسلام، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت748ه)، نشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى.

11. تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي البغدادي (ت463ه)، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت.

12. الترغيب والترهيب، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت656ه)، دار الكتب العلمية - بيروت.

13. تفسير القرآن للسمعاني، لأبي المظفر، منصور بن محمد السمعاني (ت 489ه) الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1418ه- 1997م.

14. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر بن عبد البر النمري القرطبي (368 - 463ه)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1439 ه

15. التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي (ت 1031ه)، عالم الكتب -القاهرة الطبعة: الأولى، 1410ه-1990م.

16. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (ت 301ه)، دار هجر، الطبعة: الأولى، 1422 ه - 2001 م.

17. جامع العلوم والحكم، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت 790هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م.

18. جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي(ت463هـ)، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م.

19. الجامع في الحديث، لعبد الله بن وهب المصري (ت197هـ)، دار ابن الجوزي – الرياض الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م.

20. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ) دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الأولى، 1987م.

21. حُسْنُ السَّمْتِ فِي الصَّمْتِ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر عام النشر: 2010 م.

22. الداء والدواء، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م.

23. الزهد والرقائق لابن المبارك، من رواية الحسين المروزي، لعبد الله بن المبارك المروزي (ت 181 هـ)، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت.

24. سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف).

25. سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بـ«حاجي خليفة» (المتوفى 1067 هـ)، إستانبول – تركيا عام النشر: 2010 م.

26. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث (202 - 275 هـ)، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

27. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي (ت 279هـ)، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.

28. سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ)، مؤسسة الرسالة الطبعة : الثالثة ، 1405 هـ/ 1985 م.

29. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد العَكري (ت 1089ه)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م.

30. شرح الأربعين النووية، لمحمد بن علي دقيق العيد (ت 702ه)، مؤسسة الريان، الطبعة: السادسة 1424 هـ - 2003 م.

31. شرح السنة، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت 516ه)، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م.

32. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي 743ه)، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض) الطبعة: الأولى، 1417هـ.

33. شرح صحيح البخارى ، لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف (ت 449ه)، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م.

34. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393ه)، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

35. صحيح البخاري، لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري الطبعة: السلطانية، الطبعة الأولى عام 1422 هـ دار طوق النجاة – بيروت.

36. مسند ابن أبي شيبة، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (ت 235ه)، دار الوطن – الرياض، الطبعة: الأولى، 1997م.

37. مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل (ت241 ه)، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

38. مسند الإمام الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، (طُبع على نفقة الشيخ جمعان بن حسن الزهراني)، الطبعة: الأولى، 1436 هـ - 2015 م.

39. مسند الحميدي، لأبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي (ت 219ه)، الناشر: دار السقا، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، 1996 م.

40. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد الطبراني (ت 360ه)، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

41. المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.

42. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن العراقي (ت 806هـ)، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، 2005 م.